

AL-QATTAN

AL-ISLAM RISALAT AL ISLAH



Princeton University Library



32101 074488923

مناع القطان  
المدرس بكلية الشريعة بالرياض

# الإسلام رسالة الإصلاح



2272  
.83735  
.349

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فما أحوجنا للإصلاح الجذري في كل النواحي ولا سيما في هذا الوقت الذي تفككت فيه روابط الأمة وبعدت عن رسالة السماء فتمزقت شر ممزق في الاخلاق والصلوات الروحية والأخوية وفي السياسة والاقتصاد والثقافة الخ . والاسلام دين كامل شامل كفيلاً بالإصلاح أي اعوجاج إذا رجعنا إليه وحكنا شريعته والاستاذ الشيخ مناع القطان في محاضراته - الاسلام رسالة الإصلاح - التي ألقاها في قاعة محاضرات الكليتين بالرياض عام ١٣٧٩ هـ يحاول أن يشرح لنا ذلك وأن يبرر لنا الطريق . والاستاذ غني عن التقديم والتعريف لأنه من نعرف علماء وتحققاً وتقانياً في صبيد الحق . لقد ساء ما رأى أمته عليه من التشتت ومخالفة لشريعة الله فأراد أن يخرج من العهدة والمسئولية بتوضيح الجادة وامثالاً لما جاء في الحديث: «من رأى منكراً منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه» الحديث .

١-٢٨-٦٦  
١٩٨٥

ولقد أجاد في بحثه ووصف الدواء بعد أن شخص الداء وأصاب  
المفصل والحز فهل من مذكر ؟ ! وهل من واع للواقع المؤلم  
والمستقبل المظلم . إن هذه المحاضرة قد أودعها فضيلته خلاصة  
لطريق الإصلاح التي يمكن أن يستفيد بها المسلمون مجدهم وبأخذوا  
مكاتهم بين الأمم وقد دعم ذلك بالنصوص القاطعة من القرآن  
والسنة وبالادلة العقلية والأمثلة الواضحة وقد رأيت من الواجب  
نشرها لتعم الفائدة وطلبت منه السماح بطبعها ففضل مشكوراً بذلك  
نفعنا الله بعلمه وسدد خطاه وأكثر من أمثاله العاملين ولا يفوتني  
أن أذكر أن الامتاز قد ألقى محاضرتين غير هذه إحداها في  
قاعة محاضرات الكليتين عام ١٣٨٠ هـ - نظام الأسرة في الاسلام -  
وقد طبعت وتلققتها الأيدي بسرعة وشغف لما فيها من فائدة .  
والاخرى هي موقف الاسلام من الاشتراكية . القاها عام ١٣٨٢ هـ  
بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وقد طبعت وستصل عن قريب  
إن شاء الله وهي من أحسن المراجع وأوثقها في فنها ولا غرابة في  
ذلك فالشيخ مناع معروف لدى الجميع بتحقيقه وسعة اطلاعه  
وعدم تحيزه وفق الله الامة الاسلامية لما فيه مجدها وعزة دينها  
إنه على كل شيء قدير ١٥/٧/١٣٨٣ هـ

عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور  
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل  
فلا هادي له ، ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد  
أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله  
وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه .

وبعد .. فالحديث عن رسالة الاسلام التي تحمل في طياتها  
عناصر الاصلاح المتميزة بخصائص الخلود يقتضي منا أن نخط اللثام  
عن الهوة السحيقية بين حقيقة الاسلام الكبرى والصورة الواقعية  
اليوم في حياة المسلمين .

تمهيد :

منذ أربعة عشر قرناً من الزمان كان العالم يحبو في أسمال من

بقايا المسيحية المحرفة في دولة الرومان ، والطائفية التحملية في دولة  
الفرس ، وقد أثقلت الاغلال كاهل الشعوب التي وقعت تحت نير  
هاتين الدولتين، وأخذ الاستبداد مأخذه من رقاب الناس وأذهبت  
الافكار الفلسفية ألبابهم . ومزقت العنصرية المذهبية أوصالهم . .  
وفي وسط هذا الجو الخانق القاتل لقيم الحياة الانسانية انبعث  
من بطحاء مكة صوت قوي رهيب يقول . لا إله إلا الله .

كان ذلك الصوت الداوي صوت محمد ﷺ الذي اختاره  
الله ليهدي العقول الحائرة إلى نور الايمان بالعبقيدة الصحيحة . ويفتح  
لها مسالك العلم النافع وينحها العدل الذي يحطم قيود العسف  
والجبروت . والحرية التي ترقى بمستوى الانسانية وتحفظ لها حقوقها  
والمساواة التي تهب لكل فرد فرصة يستثمر فيها مواهبه خيرا  
المجتمع وصالحه فأندر وبشر . وأعلن دعوته ربانية عالمية تتخطى  
جبال الحجاز وهضاب نجد وسعة البحار والوهاد وتتجاوز كل  
مهمة قفر . لتعلن على الملأ انسانيتهما . وتدعو البشرية على اختلاف  
أجناسها وألوانها للانضواء تحت لوائها ( قل يا أيها الناس إني رسول  
الله إليكم جميعاً ) . ( يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء  
لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ) ( وما أرسلناك إلا كافة  
للناس بشيراً ونذيراً ) .

## منزلة هذا الدين

وإنما يبعث الله رسوله مبشرين ومنذرين ليمدوا البشرية بمقومات حياتها الانسانية حتى يستقيم العقل البشري على الجادة ويتخلص من أسر الخرافة والهوى . ولا يدين بالعبودية إلا الله رب العالمين وما كان للعقل أن يهتدي بالقوى الفكرية وحدها إلى أمر رشده ليمسوا بالجنس البشري إلى المنزلة التي أهله الله لها في هيمنته على العوالم كلها . وتسخيرها في عمارة الارض وتحقيق البر والامن والسلام . كي يكون حيث قال الله في جنسه ( ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ) . وحيث قال في آيةه الاولى ملائكته ( وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة . . ) وقد أخذ الانسان يمر في أطوار رقيه عصرأ بعد عصر ليشرّف بخلافة الله في الارض وكلما زلت قدمه في أحوال الحياة ورزح تحت وطأة سيطرة الغرائز الجامحة والميول الشاذة أمدّه الله بجبل من الهدى يأخذ بيده . ويضيء له جوانب الكون كي يسلك دروب الحياة على هدى وبصيرة . وظلت الرسائل السماوية تعمل لتحقيق هذه الغاية متتابعة . تسلم كل رسالة منها الامانة إلى اختها . وتلقفها يد كل رسول عن أخيه في نطاق اصلاح قومه فقط اصلاحا يشبه

جرعة الدواء لداء عضال . أو « المصل » الواقي من وباء منتشر .  
 فلا يهدى . وأن يتجه الاصلاح إلى القلب الذي به صلاح سائر الجسم .  
 والعقيدة الصافية هي لب الايمان وجوهر الاصلاح ، والعمود  
 الفقري الذي ينشأ عليه هيكل الفرد الصالح وكيان المجتمع  
 السليم ، فكان تحرر النفس من الخضوع لسلطان يذلها من دون  
 الله في عبادته وحده هي القلب الذي يمد شريان البشرية بالحياة  
 ( وان من أمة الاخلا فيها نذير ) ( وما أرسلنا قبلك من رسول  
 إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ) وبإزاء هذه العقيدة  
 تضع الاديان السالفة الاسس العامة في العبادة التي تهذب النفوس  
 وتربها على مكارم الاخلاق لتصلح الملائق بين الناس ولم يك أمر  
 الخلق في المعاملة متشعب النواحي ضيق المسالك حتى تحتاج الخليفة  
 إلى نظم تقتحم بها عقبات الحياة وتحمل مشاكلها فلم يشأ الله البقاء  
 لرسالة رسول قبل محمد صلى الله عليه وسلم حتى تحمل عناصر الخلود ولكنها  
 اصلاح قلبي وتهذيب نفسي للقوم الذين بعث فيهم النبي . فهي علاج  
 ووقتي للمحافظة على العقيدة في عبودية الانسان لله وحده رب العالمين .  
 فلما نضج العقل البشري وتعدت أمامه المشاكل اذن الله  
 بفجر دين جديد يلقي اضواءه على جوانب الحياة الممتمة ، وينفذ  
 اشعاعه الى كل زاوية من زواياها حتى يكتمل صرح الحضارة

الانسانية ، وتوضع اللبنة الأخيرة في مقوماتها التي جعل الله رسوله  
بناتها ، فكان هذا الدين هو الاسلام وكان رسوله هو محمداً عليه  
الصلاة والسلام . وفي هذا يقول « ان مثلي ومثل الانبياء من  
قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية  
فجعل الناس يطوفون به ويمجّبون له ويقولون: هلا وضعت هذه  
اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » وأخذ الله على أنبيائه في ذلك  
العهد والميثاق ( وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب  
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال  
أأقررتم وأخذتم على ذلکم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا  
معكم من الشاهدين ) فالوحي المتتابع يمثل نهراً تكونت له روافد  
وتفرعت جداول تروي ما يذبل من أيك العقيدة وما يجنى من  
أعواد الفضيلة لتبقى خصائص الانسانية البناءة في ازدهار ونمو  
تؤتي أكلها خير الناس كل حين بإذن ربها ، ينبع هذا النهر  
ويفيض خيره حيث يوحى الله إلى ملائكته سفرائه إلى رسوله  
أو يكلمه رسوله سفراءه إلى خلقه وقد انتهى مصب هذا الماء الفدق  
برسالة محمد ﷺ نبي الاملام . والنصوص القرآنية تعلن وحدة  
هذا التشريع في أصوله من منبعه إلى مصبه ( شرع لكم من الدين  
ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى

وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والايان بجميع الرسل  
من صلب عقيدة الاسلام ( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل  
إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي  
موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد  
منهم ونحن له مسلمون ) (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل  
من قبلك) .

وحين أراد الله أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين فقد  
اقتضت حكمته أن يكون دينه وافياً بمطالب الحياة الانسانية جامعاً  
لجوانبها صالحاً لها في كل جيل ، يسد عوزها ويكفها مؤونة  
البحث عن مورد آخر تستقي منه حاجتها ، فقد أغناها الله بالمثل  
العذب والمعين الذي لا ينضب في دين الاسلام وتلك نتيجة ختم  
النبوة فلن يأتي رسول آخر لاصلاح الخلق بعد أن أغلقت أبواب  
الوحي ومن هنا كانت رسالة الاسلام رسالة عالمية ، وكان رسولها  
رسول الناس كافة ، فبينما يحكي القرآن رسالات غيره ممن تقدم  
بمعنوان القومية الخاصة (لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) . ( وإلى عاد  
أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ) ( وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال  
يا قوم ) ( ولوطاً إذ قال لقومه ) ( وإلى مدين أخاهم شعيباً قال  
يا قوم ) ( ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه )

ويقول في شأن عيسى ( ورسولاً الى بني اسرائيل ) . بينما يحكي  
 القرآن هذا في الرسالات السهاوية ورسلمها من قبل جاء رسولنا  
 ﷺ ليعلن أستاذيته للدنيا ونبوته للعالمين ، فهو الرحمة المسداة  
 للبشرية كافة ( تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين  
 نذيراً ) ( وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ) ( وأوحى الي هذا  
 القرآن لأنذركم به ومن بلغ ) لأنه خاتم النبيين ( ما كان محمد أباً  
 أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ) وكان كل  
 نبي يبعث الى قومه خاصة وبعث الى الناس كافة . ولذا جاء هذا  
 الدين متكاملًا ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت  
 عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ) . فالاسلام  
 ليس عقيدة فقط ، ولا مجموعة من العبادات والطقوس الدينية  
 فحسب ، ولكنه رسالة الله الخالدة . لاصلاح الناس الى أن  
 تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، فهو عقيدة وعبادة ،  
 وخلق وتشريع وحكم وقضاء ومسجد وسوق ، وهو علم وعمل  
 ومصحف وسيف « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله  
 وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلّة  
 والهوان على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » . أرايت  
 شجرة باسمقة مورقة مثمرة يتفياً الناس ظلها وياكلون من ثمارها  
 ويسترحون عبر أزاهيرها ؟ انها شجرة مكتملة الخصائص

تؤدي نفعها للناس، فرسالة الاسلام تلك الشجرة، والعقيدة جذورها  
والعبادات ساقها، والمعاملات أفنانها والأخلاق أوراقها والاخوة  
والعزة والجنة قطوفها، فاذا أتيت الى هذه الشجرة وأسقطت  
ثمارها وأوراقها، وقطعت أغصانها وشوهدت ساقها ومنعت عنها  
الري ولم يبق إلا جذورها هل تستطيع أن تقول بعد أن هذه  
هي الشجرة الباسقة المورقة المثمرة .

أم رأيت إنساناً سوي الخلقه ينبض قلبه بالحياة ويتنفس ملء  
صدره ويمجى الدم في شرايينه وتؤدي أعضاء جسمه وسائل  
حواسه وظيفتها فاذا جئت اليه وقطعت يديه ورجليه وصممت عينيه،  
وصممت أذنيه، وبقرت بطنه وأخرجت معدته ورثتيه وكبدته  
وطحاله، وكسرت جمجمته، ولم تبق إلا على قلبه هل تستطيع  
أن تقول : ان هذا هو الانسان السوي ؟ لا . هكذا الاسلام،  
فالعقيدة قلبه النابض والعبادات شرايينه . والمعاملات أطرافه،  
والاخلاق والاخوة ونظام الحكم وطابع الدولة رثته وأحشاؤه .  
هذا وأن الجذر الذي أبقيت عليه لن يبقى طويلا لانه مبتور  
من وسائل حياته، والقلب الذي تركته لن يعيش لانه قطع عن  
أطرافه .

## واقعا اليوم :

ونحن اليوم حين ننظر إلى الاسلام في واقع حياة المسلمين  
بعض الدول أين نجده ؟ أنجده في المساجد المشادة التي لا يؤمها إلا  
العجزة الفقراء ؟ أو في دور التعليم التي لا تمت إلى التوجيه الديني  
السليم بسبب ؟ أو في نظام الاقتصاد الذي يبيح الربا والاحتكار ؟  
أو في نظام الحكم — إذا نظرنا إلى أمة الاسلام عامة مع غض  
الطرف عن هذه الدولة — والقضاء يحكم بغير ما أنزل الله ويبيح  
الخمر والزنى ؟ أو في السياسة الداخلية التي تستمرىء الظلم والاستبداد  
وقتل الحريات ؟ أو في السياسة الخارجية التي توالي أعداء الله أو  
في نظام الاجتماع الذي ألقى جبل المرأة على غاربها وترك شيطان  
فتنتها في الاجسام الكاسية العارية والاختلاط في البيت والشارع  
والمدرسة والمسرح والدائرة والمصنع ؟ أو في الروح العام الذي  
يبدو في مظاهر حياة الناس واتجاه تفكيرهم ؟ . وقد غزت  
الافكار المادية جميع الطبقات وامتحوذت مذاهبها على شباب الأمة  
وأخذ بريقها بماقد أجفان كل ذي حاجة مفتون .

إننا اليوم لا نستطيع أن نضع يدنا على الامة التي نسميها  
أمة مسلمة حتى تعطي صورة واقعية لما يتطلبه الاسلام من أمته

فالصورة اليوم صورة مشوهة للاسلام ينفر منها الطبع فلا يتأتمى لها أن تجذب الناس اليها وتدعوهم إلى مجتمعا في الوقت الذي نهضت فيه الأمم التي لاتدين بالاسلام واحتلت مكانتها في العلم والصناعة والرفي ومستوى المعيشة والصعود في مدارج المدنية والحضارة إن صح أن نسمي هذا مدينة وحضارة إن هذه الصورة المشوهة في واقع المسلمين الاجتماعي والاقتصادي والسياسي هي الثمرة التي جنتها امته من وراء عزل الاسلام عن محيط الحياة ونبت تعاليمه ونظمه وتشريعاته . والظن الخاطيء بأنه دين لايسير تطورات العصر ولا مواكب مستلزماته . إن هذه الصورة المشوهة هي الثمرة التي جنتها أمة الاسلام من وراء قطع أطرافه وتمزيق أحشائه وإخراج كبده وطحاله والابقاء على مسحة من العقيدة والعبادات لا تؤدي غايتها . فالعبادات مصابة بالشلل وإن كانت الايدي المعتدية قد أبقث عليها دون أن تصوب اليها مديتها وترميها بسهامها ، لأن هذه العبادة لاتجد ما يعضد أثرها التربوي في المجتمع الذي تنكب الطريق وخرج عن المحجة وأعلن حربه مع الله . والعقيدة نفسها « وهي القلب » أصابها ما أصابها من خرافة ودجل وشرك ، لانها كذلك لم تعد تؤدي وظيفتها وتقوم بواجبها بعد أن حيل بينها وبين أطرافها . فكيف يتسنى لنا بعد ذلك أن

تقدم صورة واقعية للاسلام؟ إن مظاهر حياتنا المختلفة في السكن والمطعم والمشرب وفي المدرسة والمتجر والمصنع وفي التفكير والخلق والسلوك . إن هذه المظاهر أصبحت في منأى عن الاسلام فهل نستطيع أن نلبسها أمة تنتسب إلى الاسلام ونقول للناس بعد ذلك أنها هي الامة المسلمة؟ اللهم لا . إلا إذا تصورنا هيكل انسان له أطراف من سائر الحيوانات كالقرد والخنزير وأطلقنا عليه اسم انسان فلن يكون هذا إلا الانسان المسوخ .

### أصناف من الناس :

وها نحن نرى بين ظهراني هذه الامة فريقاً من الناس يطعن في الاسلام ويرميه بالضعف والقصور ويتهم أنصاره بالجمود والرجسية ، بينما يمنع الجبن آخرين من أن يعملوا حربهم ضد الاسلام صريحة اما سلوكهم العملي واراؤهم في الحياة ومواقفهم من الدين أما هذا كله فانه يصرخ في وجوههم بالنتكر للاسلام والخروج على تعاليمه . وهناك فريق ثالث لم تصل بهم الجرأة الى إن يظهروا للملاء بمظهر الخروج على الدين ولكنهم يدعون الناس الى ثورة فكرية تحررية ، ويلقنون ناشئتهم مبادئ هذه الثورة القومية الجنسية ليتخذوها شعاراً لهم في علمانية حركتهم التقدمية . اما

الفريق الرابع فقد يكتفي بتجميد هذا الدين وحبسه في المساجد لأنه صلة بين العبد وربّه ولا علاقة له بشؤون حياة الناس وتنظيم امور دنياهم .

وحين نحسن الظن بهذا الفريق نقول : ان مجتمعاً تسوده النظم الاجنبية . ويدير دفة مرافقة العامة قوم لا يؤمنون بالاسلام لن يبقى لايمان أحد في ظله بقية الى امد طويل ، فالايان يحتاج الى متنفس اجتماعي يدرئته بهواء البيئة الصالحة المجدولة على حب الخير للخير الواقفة عند حدود الله ! وإلا أتت عليها العوادي . هب أن طفلاً نشأ من سلالة مسلمة وتربى في بيئة فاسدة بمجتمع لا اسلامي انه ان حافظ على طابع العبادة بعامل الوراثة فسيتأني اليوم الذي تساوره الشكوك وتناديه هواجس الشر :

ما بالنا نؤمن برجل يسميه الناس محمداً ويزعمون انه رسول وقد مضى عليه اربعة عشر قرناً من الزمان ومافائدة هذه الصلوات التي أصلها والركعات التي اركانها ؟ وما حاجتنا الى أن نؤمن بدين لا صلة له بحياتنا ولا اثر له في مجتمعنا ؟ فمن العبث ان تظل تلك العقائد الموروثة في نفوسنا .

### مصارحة :

ان هذا شيء سيحصل ان لم يكن قد حصل ، وقد ساعد

عليه التهاون في شأن الاسلام والتساهل في انتقاض اطرافه حتى  
اصبحت صورته الواقعية ممسوخة مبتورة مشوهة .

والحق أنه لم تبذل جهود مرضية في سبيل تصحيح هذا  
الفهم الخاطيء من قبل دعاة الاسلام ورجال الدين . إذا استثنينا  
بعض الافراد والهيئات . رغم افلات الامر من يدهم . فوجدت  
الافكار التحليلية والمبادئ الاباحية تربة خصبة بذرت فيها سمومها .  
وانبتت لنا الصاب والعلقم . مما نشاهده اليوم في المروق عن  
الاسلام . والتطاول عليه . والمجاهرة بالتخلي عنه بل واعلان  
التمرد وانتحال ملة غير ملته فقد اتبحت الفرصة للمذاهب المادية  
أن تصل الى قلوب الجهم الفقير عن طريق المعدة واستجابة البطون  
الطاوية الى نداء البطن اسرع من امتجابتها لنداء الضمير  
وما أخبار دول اسلامية مجاورة او احوال اشياء مخدوعين  
ببعيدة عن مسامعنا وانظارنا .

هذه هي الهوة التي بين حقيقة الاسلام الكبرى والصورة  
الواقعية اليوم في حياة المسلمين .

## الاسلام رسالة اصلاح الخالدة وشريعة

اما ان يكون هذا والاسلام رسالة الاصلاح الخالدة وشريعة  
لله في عمارة الارض الى يوم يبعثون فلا حياة للناس الا بشريعة  
تربي افرادهم تربية صحيحة ترقى بها عقولهم وتهذب نفوسهم .  
ولا قيام لمجتمعهم الا بنظام يحدد واجبات الافراد وحقوقهم  
حاكين ومحكومين يسود فيه العدل وتحقق الحرية المعتدلة  
وقد نشأت المجتمعات البشرية باديء ذي بدء بدائية ليس لها  
رابطة تجمعها الاصلات نفع محدودة ، ولا تعرف ما يلزمها بعلائق  
او واجبات الا ما تفرضه العادات والتقاليد مما يجري به العرف  
ويلتزمه الافراد التزام ما يسمونه بالقانون . ولكن حاجة تلك  
المجتمعات ظلت تتسع رويداً رويداً مع اتساع دائرتها ونضج  
فكرها حيث يشعر الناس بمسؤولية ابعاد مدى . ويضعون اسساً  
عامة لحفظ حقوق الافراد وبيان التزامات كل فرد مستلهمين هذه  
الاسس من صميم بينتهم .

ومثل هذا اذا تساحنا وسميناه تشريعاً مجاراة لاصطلاح الناس

فانه يستمر في أطوار الرقي حتى يأخذ طابعاً عاماً في قواعد كلية ينتظم بها أمر المجتمع ويتحقق على امسها حاجاته ومطالبه .

### صلاحية الشرائع

فالشرع بصفة عامة ماهو إلا امتجابة ضرورية لشعور المجتمع بما يصلح من شأنه ويضع له قواعد حياته . فلا بد وأن يكون صورة واقعية ، منبعثة من بيئة المجتمع وموروثاته في العادات والتقاليد ويكتسب مثل هذا الشرع خاصية البقاء والصلاحية الى زمن أطول كلما كان فيه من عمومات هذه القواعد مايلبي حاجة المجتمع ويحل مشاكله الاجتماعية والاقتصادية ويقيه من الوقوع في معضلات الحياة وعللها ، وذلك يكون بمرونة القواعد الكلية وشمولها لصور جزئية عديدة وإلا كان الشرع في حاجة الى تجديد مستمر يساير رقي المجتمع وتطوراته فالتشريع في الأمة ماهو إلا صورة من واقعها الاجتماعي والاقتصادي يعبر عما وصلت اليه الحياة فيها من التطور والوعي .

وقد أشرنا في مقدمة الحديث الى أن هذا هو السرفي أن دعوات الرسل السابقين كانت قومية خاصة حتى اكتمل رقي الانسان وتأهل لتشريع عام يحمل عناصر الخلود نجاء التشريع الاسلامي .

## الشريعة الإسلامية

وقد عهد الناس في القديم والحديث مذاهب أخلاقية ودعوات إصلاحية وأفكاراً فلسفية قامت هذه الأفكار وتلك الدعوات والمذاهب على أسس اقتنع ذووها بكفايتها لإصلاح المجتمع والنهوض به وعندما يستعرضها المرء على وجه المقارنة يجد كل فكرة منها تقوم على أسس تخالف أختها ولا تلتقي معها من قريب أو بعيد كما يجدها تهدف إلى إصلاح جانب واحد من جوانب الحياة فمنها الأخلاقي الذي يرمي إلى تهذيب النفوس ورتي الوجدان. ومنها الاقتصادي الذي يرمي إلى رفع مستوى المعيشة وتهيئة فرص الإنتاج والكسب أمام الأفراد ومنها الاجتماعي والسياسي الذي يرمي إلى تحديد علاقة الأفراد بعضهم ببعض وبيان الحقوق والواجبات وهناك التفاوت البين في المذاهب التي تخدم غاية واحدة خلقية أو اقتصادية أو اجتماعية. أما الشريعة الإسلامية، فهي مجموعة الأوامر والنواهي والواجبات والأحكام التي أوجب الإسلام تطبيقها لتحقيق أهدافه الإصلاحية في المجتمع البشري.

## أهداف الإسلام

وللإسلام ثلاثة أهداف إصلاحية عامة يدور عليها فلك شريعته،

وهي جامعة لما تتطلبه الحياة الانسانية من إصلاح فردي أو اجتماعي وهذه الأهداف وثيقة الصلة بعضها لبعض . فكل منها مرتب على ما قبله، أولها : تحرير العقل البشري من الخرافة والتقليد . وذلك الهدف يتحقق بأول واجب من واجبات الاسلام وهو العقيدة الصحيحة وكال الايمان بالله وحده عن طريق الدليل والبرهان والتفكير والنظر ولهذا حارب الاسلام الوثنية في شتى صورها وقضى على جميع الوسائل التي تؤدي اليها وإذا كانت مفخرة الحضارة الحديثة أنها قامت على حرية الفكر وتخلصت من كل سلطان وهمي وتجردت للبحث الحر الذي يعتمد على الاستقراء والتجربة فإن هذه المفخرة وقد أنت ثمارها الطيبة في عالم المعرفة والفنون والاختراعات كانت مصحوبة منذ أنبثق فجرها بسخط على الأديان والفضائل . أما الاسلام فهو دين التحرر العقلي الذي خلص الانسانية من أسر الخضوع لكل سلطان وهمي حتى لا تدين بالطاعة إلا لله وحده وإذا صح لنا أن نحصر التشريع الاسلامي في العقائد والعبادات والمعاملات فإن العقائد تحتل المكانة الاولى منه وهي التي تصحح العبادة والمعاملة . وقد سد الاسلام كل مسلك يؤدي الى عبودية المرء لغير الله وهذا هو السر في تحريم التصوير والحلف بغير الله . والنهي عن المبالغة في المديح والتعظيم وما مائل ذلك .

وخطب الاسلام العقل البشري في آيات من الكتاب الكريم  
 ليهتدي عن طريق النظر والفكر الى ما وراء هذا الكون من خالق  
 قادر مدبر يجب الاتعنه الوجوه إلا له ( أفلا ينظرون الى الابل  
 كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت  
 والى الارض كيف مسطحت . فذكر إنما أنت مذكر ) وكثيراً  
 ما يسوق الله تعالى آيات خلقه وعظمته كونه وبديلهما بمثل قوله  
 تعالى ( لآيات لقوم يعلمون ) ( لآيات لقوم يتفكرون ) ( لآيات  
 لقوم يعقلون ) كما يعنى الاسلام على التقليد ويندد بأصحابه ( وإذا  
 قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا ابل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان  
 آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ) وإنما يعرف الحق باليقين دون  
 الحدس والتخمين ( وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يفي من  
 الحق شيئاً ) فالهدف الأول من أهداف الاسلام هو تحرر العقل  
 البشري وذلك عن طريق العقيدة الصحيحة . ويوصل اليه باب  
 العقائد في الشريعة .

وثاني هذه الاهداف : تربية الفرد وإصلاح نفسه وتمذيب  
 أخلاقه حتى يتحرى الخير في عمله ولا يخضع لأهوائه وشهواته  
 وهذا الهدف يتحقق في الاسلام بالعبادات التي شرعها الله ليكون  
 العبد على ذكر دائم خالقه يرجو رحمته ويخاف عقابه ويرعى حرمة

إخوانه في السر والعلن فالعبادات في الاسلام وسيلة لهذا الهدف  
تعد الفرد المثالي في أمة مثالية نظيفة الذيل نقية الخافية ، لا تبطرها  
النعماء ولا يحزنها البأساء ففي الصلاة ( إن الصلاة تنهى عن الفحشاء  
والمنكر ) وفي الزكاة ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم  
بها ) وفي الصيام ( كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين  
من قبلكم لعلكم تتقون ) وسائر العبادات فرضاً كانت أو نفلاً  
تهدف الى إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً وهو الهدف الثاني من  
أهداف الاسلام .

وثالثها : إصلاح المجتمع وتنظيم الحياة الاجتماعية في جميع  
صورها ولتحقيق هذا الهدف جاء الاسلام بنظام اجتماعي كامل  
يوضح علاقة الفرد بالفرد وعلاقة الحاكم بالمحكوم ويحدد الحقوق  
والواجبات بل ويحدد صلة الدولة الاسلامية بغيرها .

ومن ذلك يتبين لنا أن الاسلام عقيدة عقلية تحررية وعبادة  
تربوية روحية . ونظام اجتماعي قضائي وهذا هو مانعنه عندما نقول  
إن الاسلام دين ودولة . والانسانية في أرقى صورها لاحتياج  
في إصلاحها لشيء سوى تلك الأهداف الثلاثة ولو نظرت الى أي  
فكرة إصلاحية سابقة أو حاضرة لن تجد فيها ما يحقق هذه الأهداف  
مجتمعة مع ما يشوبها من زلل وشطط .

والمسلمون اليوم لم يتنكروا للإسلام في العقيدة والعبادة بمثل ما تنكروا له في نظام الحياة الاجتماعية فقد تجرد من يعترف لك بجانب العقيدة العقلية . وجانب العبادة الروحية ولا يعترف لك بالجانب الاجتماعي لأنه يؤمن بعزل الإسلام عن محيط الحياة ولذلك فإن الهدف الثالث هو جل ما نقصده من هذه المحاضرة . وبما ينبغي معرفته أن الإسلام لم يفصل في شريعته بين هذه الأهداف فصلاً كاملاً لأنه بستان واحد تتداخل أشجاره وإن تنوعت ثماره وذلك سر من أسرار عظمة الشريعة الإسلامية .

واليك أمثلة توضح هذا التداخل في العبادة والاقتصاد والاجتماع .

### في العبادة

فالصلاة ركن من أركان الإسلام يحتمل المكانية الأولى في العبادات . يفتتحها المصلي بالتكبير . الله أكبر . وهذا من لب العقيدة . حيث يفرد الله وحده بالتمظيم . ومن واجب المصلي ان يخلص قلبه لله ( فصل لربك وانحر ) وان يستحضر عظمة ربه . وهو يذكر من الثناء الحسن في ركوعه وسجوده ( سبحان ربي العظيم ، سبحان ربي الأعلى ) . ويقرأ من كتاب الله آيات توحيده في الصفات والعبادة ( الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك

يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم..) ولا يصلي حين تطلع الشمس « فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ». ولا عند غروبها « فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ». فهذه الأمور كلها متصلة بما تهدف إليه العقيدة الإسلامية من تحرر العقل البشري . والمؤمن في صلاته يرق وجدانه . ويصل نفسه بالملاء الأعلى . يستلهم من الله الرشد ويتلمس منه غذاء الروح ويفطر قلبه رهبة من عقاب الله ويتعود الخشوع لله وينمو فيه الاحساس بأخوة الايمان . وفي هذا جلاء للنفس وتهذيب للأخلاق . وهو ما تهدف إليه العبادة من تربية الفرد وإصلاحه نفسياً وخلقياً .

والطمأنينة والاعتدال واستقرار كل عضو في موضعه من الواجبات التي يؤدي التقصير فيها الى بطلان الصلاة وما روي عن رسول الله ﷺ في حديث المسيء صلاته يعبر أصدق تعبير عن هذا المعنى يقول عليه الصلاة والسلام « إذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تستدل واقفاً . ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً . ثم ارفع حتى تطمئن جالساً . وافعل ذلك في صلاتك كلها » وفي بعض الروايات « فأقم صلبك حتى ترجع العظام » وعن أبي حميد الساعدي رضي

الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ إذا كبر جعل يديه حذو منكبيه وإذا ركع أمكن يديه من ركبتيه ثم هصر ظهره .. فاذا رفع رأسه استوى حتى يعود كل فقار مكانه » .. الحديث ومعنى ( هصر ظهره ) ثناه في استواء من غير تقويس والفقار جمع فقاره وهي عظام الظهر والصلاة من هذه الناحية رياضة بدنية . والمؤمن يتلو في صلاته آيات القرآن . وهي آيات تتضمن ضروراً من المعرفة والعلم وعليه أن يتدبر معانيها ويعي ما يستطيع فهمه منها « ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها » وهذا نوع من التربية العقلية في الجانب العلمي . وإذا سمع المسلم الأذان ( حي على الصلاة حي على الفلاح ) لبي النداء تلبية الجندي لأمر قيادته وإذا أقيمت الصلاة ( قد قامت الصلاة ) أنتصب قائماً ولا يتصدى لإمامة القوم إلا أحقهم بها فيؤمهم أقرؤهم للقرآن فأعلمهم بالسنة . فأقدمهم سناً « لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه إلا بإذنه » . وإذا كبر الإمام كبر وراءه وإذا ركع أو سجد أو رفع أو جلس أو سلم تابعه وأطاعه طاعة الرعية لإمامها . وليس له أن يتقدم أو يتأخر « وإنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تركعوا حتى يركع . ولا ترفعوا حتى يرفع » وذلك .. معنى الطاعة الذي يلتزمه في الإمامة الكبرى لسياسة الأمة الإسلامية والذي تعتبره النظم الحديثة أسامياً من

الأسس العسكرية . ولكن هذه السلطة للإمام في الصلاة لا تظل سلطة مطلقة كتلك السلطة التي يسمونها بالدكتاتورية في نظم الحكم . فإذا نسي الإمام آية يفتح عليه المؤتم فيذكر تلك الآية ، وقد صلى رسول الله ﷺ صلاة فقرأ فيها فالتبس عليه فلما فرغ قال لأبي ( أشهدت معنا ؟ ) قال نعم قال ( فما منعك أن تفتح علي ) رواه أبو داود ورجاله ثقات . وإذا اخطأ الإمام في قيام أو قعود بزيادة أو نقص نبهه المؤتم الى خطأه . ومن لطائف هذا المعنى أن الرجل يسبح . ولا يمنع المرأة ضعف جانبها عن ذلك بل بقي الاسلام فتنه صوتها وبشرع لها التصفيق « من نابه شيء في صلاته فليسبح . فإنه إذا مسبح التفت اليه . وإنما التصفيق للنساء » فالرجل يسبح والمرأة تصفق . وهذا تحديد للطاعة الملزومة بالنسبة الى إمامة الحكم وبيان لحق النصيح والشورى . وعلى الامام أن يأمر المصلين بتسوية الصفوف . وكان رسول الله عليه ﷺ يقبل بوجهه على أصحابه قبل أن يكبر فيقول : « تراصوا وأعتدلوا » كان الرجل يلزق كعبه بكعب صاحبه . وركبته بركبته . ومنكبه بمنكبه وإذا وجد المصلي فرجة في الصف سدها « من وصل صفاً وصله الله . ومن قطع صفاً قطعه الله » ومن انتظام الصف في الصلاة ينتقل المسلمون الى انتظام الصف في المعركة وانتظام الصف في حياة الأمة العملية ووسائل حياتها الاجتماعية .

هذا وان المسجد مشاع لكل مسلم فلا يوضع على بابه ما يمنع دخول طبقة من الناس ويأذن لأخرى . والجميع خلف الإمام في الركوع والسجود سواء إنما يأتي التمايز بالسابقة والمبادرة رغبة في الخير ( فتكون الأفضلية للصف الأول ) لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليها لاستهموا .. وهذا معنى المساواة ومقياس التفاضل الذي يأخذه الاسلام كما تأخذه نظم الحكم الشورية في قواعد نظمها الاجتماعية . والصلاة لا تصح إلا بقرآن قال ابن تيمية في الاقتضاء . فأما القرآن فلا يقرؤه بغير العربية . سواء قدر عليها أو لم يقدر عند الجمهور . وهو الصواب الذي لا ريب فيه وفي هذا وحدة الأمة بوحدة لسانها في الصلاة وهذه الأمور مجتمعة هي الهدف الثالث من أهداف الاسلام إصلاح المجتمع .

فأنت ترى بهذا أن الصلاة وهي عماد الدين قد جمعت في طياتها الأهداف المتعددة والمسلم يؤديها على أنها عبادة وفي إقامته لها تحرر عقله . وإصلاح نفسه وإصلاح للمجتمع . وهو يتناول هذه الجرعة الاصلاحية في اليوم الواحد خمس مرات على الأقل ليألف الاسلام ويتقبل نظامه الكامل في العقيدة والعبادة والاجتماع .

## في الاقتصاد

الاسلام دين الفطرة . فهو يسير غريزة الانسان في حب التملك . ويقر الملكية الفردية ويحميها ويجعل تراث الآباء للأبناء والأقربين . فالفرد لا يالأو جهداً في أسباب الكسب الذي ينفعه وينفع بنيه من بعده والنصوص من الكتاب والسنة مستفيضة بما يثبت إقرار الإسلام للملكية الفردية وحمايتها . فالتكاليف المفروضة في الأموال كالزكاة والنفقة فرع عن ملكية الأموال . والاسلام بضيف المال لذويه ( خذ من أموالهم صدقة ) وفي الحديث « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه . ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله » . وللمرأة حق التملك كالرجل ( وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ) ( وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيت إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً ) ( وإن تأخذونه بهتانا وإثماً مبيناً . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ) وأذن الاسلام في عقود المعاملات المالية من بيع وكراء ومساقاة ومزارعة وإجارة وغيرها . والاسلام من هذه الناحية يخالف الاشتراكية القائمة على عدم الاعتراف بملكية الأفراد التي تتجاهل غريزة حب التملك وتميت عاطفتها .

ومع إضافة الأموال الى ذويها فإن الله تبارك وتعالى يرشدنا  
 في نصوص أخرى الى أن الملكية الحقة لله تعالى . وما للناس إلا  
 مستخلفون من قبله سبحانه عليها . وعلى المستخلف أن يتحرى  
 الطرق المشروعة التي شرعت له ولا يتجاوزها . وليس له الحرية  
 المطلقة في التصرف بما تحت يده من مال . يقول تعالى ( آمنوا بالله  
 ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ) ويقول ( وآتوهم من  
 مال الله الذي آتاكم ) ويعتبر الاسلام ذلة النفس للمال وشغفها  
 به عبودية له « تعس عبد الدينار . تعس عبد الدرهم » وهذا هو  
 التحرر العقلي الذي قلنا عنه إنه هدف الاسلام الأول ، ثم تأتي  
 حقوق المال وفي مقدمتها الزكاة ( خذ من أموالهم صدقة تطهرهم  
 وتزكهم بها ) . وفي خروج النفس عن شيء من مالها للفقراء  
 والمعوزين وذوي الحاجة تهذيب للنفس وقمع لشهواتها . وتربية  
 لمواطن الرحمة والإخاء . وقضاء على الشح والامساك . والزكاة  
 بهذا المعنى إصلاح للفرد نفسياً وخلقياً وهو الهدف الثاني من أهداف  
 الاسلام . هذا وان الاسلام ينظر الى المال نظرة أخرى أعم حيث  
 يجعل عليه قوام الحياة المعيشية لهجتمع . وهناك حق مشترك لصالح  
 الأمة في مال الأفراد وليس لصاحب المال الحق الكامل في  
 التصرف بماله أمه أمه أحسن . فقد أوجب الله على الناس كفالة

اليتيم ورعايته وحفظ ماله وتنميته الى أن يستقيم صحة وعقلا وخلقا  
 ويتبين باختباره صلاحيته لكسب العيش وإدارة شؤونه الخاصة  
 والعامه وأمر الكفيل أن يستعفف ان كان غنياً وأن يأكل بالمعروف  
 إن كان فقيراً وكذلك الشأن بالنسبة الى كل سفيه يسيء التصرف  
 وان كان شيخاً كبيراً يقول تعالى في هذا ( ولا تؤثروا السفهاء  
 أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا  
 لهم قولاً معروفاً . وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم  
 منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن  
 يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف  
 فإذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيباً ) . والزكاة  
 المفروضة ماهي إلا واجب اجتماعي يجعل للفقراء حقاً في أموال  
 الاغنياء ( وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ) ففي منعها غضب  
 الحق من ذويه . وقد ذهب جمهرة من الفقهاء الى أنها الحد الأدنى  
 المفروض . وللحكاكم عند حاجة الدولة أن يلزم أرباب الثروة من  
 المال بما يسد حاجتها ويدفع ضرورتها فقد ثبت أن جماعة جاءوا الى  
 النبي ﷺ وقد أصابهم فاقة . وصادف ذلك أيام عيد الأضحى  
 فنهى رسول الله ﷺ صحابته أن يأكلوا من لحوم الأضحية بعد  
 ثلاثة أيام فلم يدخروا كما دعتهم فدفعتهم بذلك ضرورة المحتاجين .

وعمهم الرخاء . أياماً حتى يجد كل طريقاً الى الكسب . ويسلك مسلكاً يكف به نفسه عن مال غيره . ويحفظ عليها عزتها وكرامتها فلما كان العام القابل ضحى الناس وسألوا رسول الله ﷺ عن الادخار فقال : « كلوا وادخروا . إنما نهيتكم من أجل ما نزل بإخوانكم من الفاقة » في ذلك دليل على ما ينبغي للحاكم أن يقوم به نحو رعيته أيام الشدة من فرض ما يحتاج اليه من المال على الأغنياء ليدفع به حاجة الفقراء .

والجماعة الاسلامية مسؤولة عن رعاية الضعاف فيها وكفالتهم وفي الحديث « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث . وإن اربع فبخامس او سادس » « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له . ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في كتاب الحسبة في الاسلام او وظيفة الحكومة الاسلامية شيئاً من سلطة ولي الأمر على المال عند الحديث عن الاحتكار . فيقول : [ لولي الأمر أن يكره الناس على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس اليه مثل من عنده طعام لا يحتاج اليه والناس في نعمة فإنه يجبر على بيعه للناس بقيمة المثل . ولهذا قال الفقهاء : من اضطر الى طعام الغير اخذه منه بغير اختياره بقيمة مثله . ولو امتنع من بيعه بأكثر من سعره لم يستحق الا سعره ] .

والاسلام لا يعرف الرهبانية والقبوع في المعابد . بل يبحث على الكسب والضرب في الارض . ويقرن هذا بشرف الجهاد في سبيل الله ( وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله ) . ويأمر بالانتشار في الارض طلباً للقوت عقب قضاة الصلاة ( فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ) ويحث على السير في المنعطقات الوعرة ابتغاء للرزق ( فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ) ويرسم الرسول ﷺ ( قانون ) العمل في نظام الدولة الاسلامية فيحفز كل فرد الى الكد والكبح لسد الرمق وصيانة ماء الوجه أن يراق على مائدة المسألة التي لاتضم الا الفتات من بقايا الآكلين الموسرين « والذي نفسي بيده لأن يأخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله اعطاه او منعه » وكأن الصلة وثيقة بين ما يتطلبه الاسلام من كسب للقوت وحفظ الحياة التي هي حق الله للاحق الناس فيأتي القسم بمن بيده هذه الحياة . فالقعود عن الكسب ازهاق للنفس التي لا يملكها سوى الله . والاسلام لا يحقر المهن فأخذ الحبل والاحتطاب على الظهر رمز للحياة المهنية الصناعية في الاسلام وعلى ضوء هذا الرمز تضع الامة الاسلامية نظام العمل والعمال . وللأكل من ذات اليد قدامته في الاسلام « ما أكل احد

طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان  
 يأكل من عمل يده، وقال تعالى في داود (ولقد آتينا داود منا فضلاً  
 يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في  
 السرد واعملوا صالحاً). وقال (وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من  
 بأسكم) وفي حديث سعد «انك ان تذر ورثتك اغنياء خير لك  
 من ان تذرهم عالة يتكفون الناس» ولا يضع الاسلام المسلم  
 مسباراً في آلة . ولكنه يحرك مشاعره الحية للبذل والانفاق  
 ويهز فيه أوتار الانسانية للبر والاحسان (مثل الذين ينفقون  
 اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت مبيعاً منابل في كل منبلة  
 مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) . ويحرم الكثر (والذين  
 يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب  
 اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم  
 وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون )  
 ويذهب التكافل الاجتماعي الى مداه بالاحساس الطيب الى الاشتراك  
 عند الحاجة في الارزاق . فقد قال رسول الله ﷺ ممتدحاً  
 (إن الاشعرين اذا ارملوا في الغزو او قل طعام عيالهم بالمدينة جموا  
 ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في اناء واحد  
 بالسوية فهم مني وانا منهم) وذهب ابن حزم في هذا الى اعتبار أن

أهل المحلة التي يموت فيها فرد من الجوع قتلة له تؤخذ منهم دية  
بوصفهم هذا لأن الجماعة ملزمة بكفالة كل فرد فيها وتوفير الكفاية  
المعيشية له عن طريق الازام لا عن طريق الاحسان .

ويشرع الاسلام ما يحفظ التوازن الاقتصادي ويفتت الملكية  
حتى لا تتضخم الثروات .

آ - فقد آفاه الله على رسوله من اموال بني النضير فقسمها  
على المهاجرين الاولين دون الانصار . لفقير المهاجرين وخروجهم  
عن أموالهم في الهجرة . ولم يعط احد أمن الانصار سوى رجلين ذكرا  
فقرها . . . فاشتركا في الوصف مع المهاجرين . وذكر القرآن  
الكريم علة جعل الفاء هكذا في مبدأ عام يعتبر اساساً من اساس  
نظرية الاسلام في المال حيث يقول الله تعالى ( ما آفاه الله على رسوله  
فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي  
لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ) اي حتى لا يكون المال متداولاً  
في ايدي الاغنياء خاصة يتغلبون عليه دون الفقراء .

ب - ومن ذلك شريعة الارث . فما يتركه الميت من ثروة  
ينتقل الى ورثته ولا يختص به فرد معين ( ألحقوا الفرائض بأهلها  
فما بقي فلأولي رجل ذكر ) .

ج - والنهي عن الاسراف والترف - يؤدي الى هذه الغاية .

فقد اباح الاسلام الاستمتاع بالطيبات من الرزق وحرم الاسراف الذي يقتل حيوية الامة ويحطم كيان الجماعة يقول تعالى ( يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينـة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ) أي ان احقية هذه الطيبات . . . للمؤمنين دنيا وأخرى . ولكن المشركين يشاركونهم فيها بالدنيا وتصير خالصة للمؤمنين يوم القيامة والحد الوسط في هذا ( ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ) والترف في امة عامل من عوامل انهيارها لأنه يجعل حفنة من الناس في بلهنية من العيش تمتص دماء الكادحين وتمثو في الارض فساداً ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً ) وما ورد من نصوص الكتاب والسنة الدالة على الزهد في الدنيا والاعراض عن مفاتها فهو تربية للنفس البشرية حتى لا تؤثر العاجلة على الآجلة ولا تنغمس في مجبوحة الترف وتجعل لذات الحياة هدفاً لها .

د - وفي نظام الاسلام المالي ما يسمى اليوم بمبدأ « من أين لك هذا » حق الملكية الفردية الذي تقرره الشريعة وتعمل على

حمايته . يجب أن يكون من طرق الكسب المشروعة التي بينها الاسلام في وضوح وجعلها مقيدة بمبادئ الاخلاق العامة التي أشرنا إليها آنفاً . فهي ملكية لا تقوم على النهب والسلب والغش والاختكار والزبا . وإذا لم تكن أسباب التملك صحيحة مشروعة فالاسلام لا يعترف بها ولا يرتب عليها حقوق الملكية القائمة على أصل صحيح في الصيانة والحماية ومن حق الوالي حينئذ أن يستولي عليها ويضمها إلى بيت مال المسلمين . فقد استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الازد يقال له ابن اللثبية على الصدقة فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي إلي فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فإنني استعمل الرجل منكم على العمل بما ولائي الله فيأتي فيقول : هذا لكم وهذا هدية اهديت إلي أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة ثم رفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه فقال : اللهم هل بلغت » وهذه الامور كلها في نظام الاسلام الاقتصادي ماهي إلا تنظيم اجتماعي يرمي إلى اصلاح المجتمع وهو الهدف الثالث من اهداف الاسلام .

والاسلام بهذا ان التقى مع الرأسمالية في اقرار الملكية الفردية فهو لا يسير معها الى نهاية الشوط في الشر والجشع والاختكار

والترف وان التقى مع الاشتراكية في جانب آخر فهو ينفصل عنها من جوانب متعددة لأنه وسط بين التفريط في هذه والافراط في تلك . ففي الوقت الذي لا ينسى فيه غريزة حب التملك التي تدفع المرء إلى مضاعفة الجهد في الانتاج والكسب لا ينسى كذلك الفضائل الاخلاقية وحقوق ذوي الفاقة والمسغبة :

في الاجتماع :

يذهب الاسلام في بناء مجتمعه إلى أعماق النفس البشرية ليُنذر فيها بذور الود والرحمة ويهز فيها روابط النسب السعيد . ويرجعها إلى أصل خلقها الأول الذي يجعل الناس جميعاً أمة واحدة ( يأياها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيباً ) والآية في صدر سورة النساء تذكر الناس بهذه الوحدة لتبني عليها ما يجب أن يكون في بناء الاسرة والمحافظة على الحقوق القائمة بين الناس في معاملة اليتيم وعشرة النساء وتقسيم الموارث وانفاذ الوصية . ويذكر الله هنا الخلق الاول الذي يستوجب توجه القلوب إلى الخالق وخضوعها له كما يذكر التساؤل به ورقابته على الخلق وهذا من مسائل العقيدة ويأتي نظيره في ارجاع الناس إلى النشأة الأولى لأبيهم مع عقيدة

بعضهم من تراب كذلك في النشأة الثانية ( يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب . . ) وذلك هو الهدف الاول من أهداف الاسلام التحرر العقلي أو العقيدة العقلية . وليس لأحد أن يعلو على آخر بحسب أو نسب فإن التراب الذي منه النشأة الأولى لم تكن ذراته متفاوتة بأن يكون بعضها من طين وبعضها الآخر من تير ونحوه . والدم الذي جرى في آدم لم يتحول في بعض ذريته إلى سلسبيل من الذهب والجواهر . فالكل سواء في هذا وعلى الناس أن يضعوا نصب أعينهم هذه الحقيقة لتقوم الروابط بينهم على أساس من الخلق والفضيلة والود والصفاء ولكي يحقق الاسلام هذا المعنى في نفوس أبنائه فإنه يأخذهم بأداب نفسية خلقية . . فينبى عن الكبر والخيلاء (ولا تصغر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ) . (ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً ) « ان الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يغبي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد » .

وينهى الاسلام عن كل خلق سيء يخدش كرامات الناس ويجرح مشاعرهم كالسخرية والمز والتناز بالالقاب وسوء الظن والتجسس

والغيبة والنميمة ( يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ) ( يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ) .

وينهى عن التبغض والتحاسد والتدابير « لاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسله ولا يخذله ولا يحقره » . ويبلغ الاسلام في هذا مبلغاً يرعى أدق المشاعر الانسانية فينهى عن تناجي اثنين دون الثالث « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه » ويلحظ هذه الدقة في صورة أبعدمدى في موطن الاحسان من الغني إلى الفقير فينهى عن المن بالصدقة لأنه خلق خسيس يؤذي الكرامة ويمحو الله به الصدقة ( يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ) . فهذه الامور الاخلاقية هي الهدف الثاني من اهداف الاسلام « اصلاح الفرد نفسياً وخلقياً » .

والصلوات التي تقوم بين مجتمع على هذا النمط يحلها الاسلام محل روابط الدم في الاخوة (إنما المؤمنون إخوة) وقيمها على دعائم وحدة الاحساس والشعور في السراء والضراء بصورة رائعة « ترى المؤمنين في توادم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » والحب في الله من صميم الايمان « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ولا تباح الخصومة إذا دعت إليها الضرورة إلا إلى ثلاث ليال تتطفى فيها جذوة الغضب ثم تعود المودة والرحمة : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام ». وانشاء السلام طريق إلى ذلك الحب وهذه المودة « والذي نفسي بيده لمن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا. ولن تؤمنوا حتى تحابوا. أولا أدلكم على شيء ان فعلتموه تحاببتم ؟ افسوا السلام بينكم » ( وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ). وإذا كان السلام من عوامل تأليف القلوب، وإشاعة الطمأنينة فالاسلام يعنى في ذلك حقوق الناس في البدء به « يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد ، والقليل على الكثير » ولا يتوقف هذا على سابق معرفة فقد سئل رسول الله ﷺ : أي الاسلام أفضل قال « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت

ومن لم تعرف ، وبين المجتمع الاسلامي مسئولية عامة مشتركة يتعاون عليها الافراد لتحقيق سلامة المجتمع وبلوغه إلى أهدافه . « كل-كم راع وكل-كم مسؤول عن رعيته الامام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته » . وتأتي هذه الصورة التعاونية المشتركة التي تكشف عن تضامن المجتمع ومسؤوليته عما يخل توازنه بشذوذ بعض أفراده فالأمة كلها تسير في سفينة اسلامية واحدة على كل فرد فيها أن يعرئ سلامتها . وإلا أخذ الجميع على يده « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » . وهذا الجانب التعاوني التضامني يحقق الهدف الثالث من أهداف الاسلام ، وهو اصلاح المجتمع .

### أيها الاخوان :

تلك أمثلة ثلاثة في العبادة والاقتصاد والاجتماع . يتبين لنا

فيها المزج الكامل بين أهداف الاسلام عقيدة وعبادة وتشريعاً .  
 والهدف الثالث هو الذي من أجله جاء الاسلام بنظام تشريعي  
 كامل ينظم علاقة الفرد بالفرد وعلاقة الحاكم بالمحكومين . ويحدد  
 الحقوق والواجبات وهو ما يتنكر له الكثير اليوم ويحدد وجوده  
 في الاسلام . ومن هنا كان لزاماً علينا أن نلم بشيء منه حتى  
 نكون على بصيرة .

### السياسة الشرعية في الاسلام

يتناول التنظيم القانوني أمرين ١- الحقوق الخاصة، ٢- والحقوق  
 العامة . وتنقسم الحقوق الخاصة إلى أ- حقوق مدنية، ب- وحقوق  
 جنائية . كما تنقسم الحقوق العامة إلى ١- حقوق داخلية  
 ب- وحقوق خارجية . وقد تضمن النظام القضائي في الشريعة  
 الاسلامية قواعد أساسية في كل هذه النواحي . وتركت التفصيلات  
 الجزئية في التطبيق للاجتهاد حسب المصالح والمقتضيات ولم تتناول  
 الشريعة شيئاً من التفصيل إلا في الامور التي لا تخضع المصلحة  
 في عصر دون عصر لثبوتها واستقرارها كأحكام الميراث والحدود  
 وقد اجتهد علماء المسلمين الأجلاء في فهم تلك القواعد واستنباط

ما تتضمنه من أحكام ونشأ نتيجة هذا الاجتهاد فقه إسلامي واسع له أصوله ونظرياته العلمية .

## ١ - المبادئ الأساسية :

أ - في الحقوق الخاصة - وهي مدنية وجنائية .

أ - الحقوق المدنية .

تناولت الشريعة الإسلامية في هذا كثيراً من المبادئ

١ - فلإنسان إرادة في تصرفاته وعليه أن يرعى حقوق

الآخرين فلا يضرهم وإلا كان مسؤولاً عن فعله وملزماً بالتعويض وفي هذا يقول رسول الله ﷺ « لا ضرر ولا ضرار » .

٢ - والعقود ملزمة للمتعاقدين . والوفاء أمر لازم ( يأبها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ) .

٣ - وهذا الالتزام بالعقد لا يكون في الشروط المخالفة لما

أحل الله وحرم « المؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً » .

٤ - ولا ينقذ هذا إلا بالتراضي الحر والاختيار الكامل في

الإيجاب والقبول ( يأبها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ) .

٥ - وليس للصورة الظاهرة في العقود التعاملية كبير أهمية  
مالم تتوفر النية الصالحة ولذا حرم الاسلام الغش والتدليس وكل  
تفريط في العقود . وجعل الخيار في مثل هذه الحالات مسوغاً لفسخ  
العقد لإخلاله بالتراضي « لاتصروا الغم . ومن ابتاعها فهو بخير  
النظرين بعد أن يجلبها ان رضاها أمسكها وان مسخطها ردها وصاعاً  
من تمر » .

### ب - الحقوق الجنائية :

ان تكفي الترية النفسية الاخلاقية في ردع كل انسان عن غيه  
حتى يأمن المجتمع شره . وقد اعتبرت الشريعة الاسلامية كل معتد  
مجرماً يؤدي حسب جريمته وتركت الشريعة عقوبات معظم الجرائم  
دون أن تحددها ولم تنص إلا على أعظمها خطراً على كيان المجتمع  
وسلامة الأمة وللسلطة الحاكمة أن تقدر العقوبة في سائر الجرائم  
بحسب الملابسات وهذا مايسمى بالتعزير في الاسلام . أما العقوبة  
المنصوص عليها ففي الجرائم الكبيرة البارزة التي لا مجال فيها للاجتهاد  
وهي ١ - القصاص في النفس وما دونها ) كتب عليكم القصاص  
في القتل الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عني له من  
أخيه شيء قاتباع بالمعروف وأداء اليه بإحسان ذلك تخفيف من  
ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ) ( وكتبنا عليهم

فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن  
بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة  
له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ) .

٢ - والزنى ( الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منها مائة  
جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم  
الآخر ) . « البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام . والشيب بالثيب  
جلد مائة والرجم » .

٣ - والقذف ( والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة  
شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك  
هم الفاسقون ) .

٤ - والسرقه ( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما  
كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ) .

٥ - وقطع الطريق ( إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله  
ويسعون في الارض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم  
وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا  
ولهم في الآخرة عذاب عظيم ) .

٦ - الردة : وقد وردت عقوبتها بالسنة « من بدل دينه  
فاقتلوه » .

٧ - شرب الخمر : وقد وردت عقوبتها بالسنة على خلاف في  
 تحديدها . تلك العقوبات الاماسية جعلتها الشريعة لحماية الحقوق  
 العامة التي تقوم عليها حياة البشرية ومساعدتها . فعقوبات القصاص  
 للاعتداء على النفس . وعقوبة الزنى للاعتداء على النسب وعقوبة  
 القذف للاعتداء على العرض . وعقوبة السرقة للاعتداء على المال  
 وعقوبة الردة للاعتداء على الدين . وعقوبة الشرب للاعتداء على  
 العقل والشأن في الأمة الآمنة ان تكون هذه الحقوق بينها مصانة  
 محفوظة ١ - حفظ النفس ٢ - وحفظ النسب ٣ - وحفظ العرض  
 ٤ - وحفظ المال ٥ - وحفظ الدين ٦ - وحفظ العقل . وحفظ  
 النسب وحفظ العرض كشيء واحد . وهذه هي المعروفة في  
 الاسلام بالكليات الخمس .

٢ - الحقوق العامة :

وهي داخلية وخارجية .

أ - الحقوق الداخلية :

جاءت الشريعة الاسلامية من الناحية الدستورية بالمبادئ  
 الاماسية التي اعتبرها العصر الحديث من شعارات نظامه الدستوري  
 في أروع صورة . المبدأ الاول : الحرية التامة . والحرية في الاسلام  
 هي الحرية المتزنة التي لا تخل بالأداب العامة ولا تتحول إلى فوضى

واباحية . ولا تعتدي على حرية الغير فللشخص أن يتصرف في شؤون نفسه آمناً من الاعتداء عليه وهو بهذا يتمتع بحريات عدة .

آ - حرية المأوى : فقد كفل الاسلام للمرء حرية مسكنه فلا يدخل عليه أحد إلا بإذنه وفي القرآن ( يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم فإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ) وفي السنة « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع » ويتعمق الاسلام أكثر من ذلك فيجعل العين . التي تتخلل الثغور والكوى لتنظر داخل المنازل بشررها الملتهب عيناً يجب استئصالها . وهي هدر لا عوض لها ولرب المنزل الحق في اتلافها ، لو ان امرأ اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة فنقأت عينه لم يكن عليك جناح .

ب - الحرية الفردية : فلا يصح لأحد أن يعتدي على آخر في ذاته أي اعتداء من شتم أو ضرب أو اتلاف عضو أو قتل . . . وقد نص الشارع على عقوبات بعض ذلك وترك الآخر لولي الامر ( فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ) .

ج - حرية الملكية : فللإنسان أن يملك بالوسائل الشرعية حسب جهده وله حرية التصرف في ماله بالوجه الشرعي من بيع

او إجارة وليس لأحد أن يمتدي على اموال الغير ( ولا تأكلوا  
أموالكم بينكم بالباطل) ولو كانت هذه الاموال للضعفاء ( إن الذين  
يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون  
سعييراً ) .

د - حرية الاعتقاد : وليس معناها كما يفهم البعض من أن  
المرء له ان يعتقد مايشاء من المذاهب وينتحل مايريد من الملل .  
ولكن الذي أعنيه من ذلك ان الاسلام جعل أمناس التوحيد  
البحث والنظر ( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل  
والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله  
من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة  
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم  
يعقلون ) وعلى الداعي أن يذكر دون أن يكره الناس ما لم يكن  
بيده قوة وسلطان ( فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر )  
( أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ) وقد جعل الاسلام  
لأهل الكتاب حرية الإقامة على دينهم ولم يغبنهم في حقوقهم « لهم  
مالنا وعليهم ماعلينا » .

هـ - حرية الرأي : فللمسلم أن يبدي رأيه في شؤون الأمة  
الدينية . وله أن يجتهد في الامور الدينية عند عدم النص في

حدود أصول الدين الكلية. والقياس الصحيح من مصادر التشريع. وهو مأجور أصاب أو أخطأ « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران . وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر » وقد اختلف المسلمون في حكم الاسرى يوم بدر . وفي قتال مانعي الزكاة . واختلف صحابة رسول الله ﷺ في شأن الخلافة وما ورد من ذم الرأي فالمراد به الرأي الذي ينساق فيه صاحبه لمجرد الهوى دون الرأي المستند الى أصول عامة في الكتاب والسنة .

المبدأ الثاني : - المساواة - فالاسلام لا يعرف الطبقات ولا يفاضل بين نسب ونسب والناس جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات لانحدارهم من أصل آدمي واحد . وإغمايكون التفاضل بالمواهب الانسانية التي تمتثل أوامر الشريعة وتوجه إلى صالح العمل والاصل في هذا قوله تعالى ( إن أكرمكم عند الله أتقاكم ) . وقوله ﷺ « لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » . وفي القضاء الاسلامي أقضية وقف فيها الولاية مع ضفاف الرعية أمام القضاء فانصف الاسلام للضعيف على القوي والاسلام لا يعبأ بمفاخر الآباء والأجداد ويعتبر كل دعوة إلى جنس أو قبيل من دعاوى الجاهلية وقد ذكر ابن تيمية هذا المعنى في الاقتضاء فقال: ومن هذا الباب ما خرجاه في الصحيحين عن

عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال : غزونا  
 مع رسول الله ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا  
 وكان من المهاجرين رجل لقاب فكسع انصارياً . فغضب الانصاري  
 غضباً شديداً حتى تداعوا ، وقال الأنصاري يا للانصار ! وقال  
 المهاجري يا للمهاجرين ! فخرج النبي ﷺ فقال : ما بال دعوى  
 الجاهلية؟ ثم قال ما شأنهم؟ فأخبروه بكسعة المهاجري للأنصاري .  
 فقال النبي ﷺ دعوها فانها منتنة فهذان الاسمان ( المهاجرون  
 والآنصار ) اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة . ثم مع هذا  
 لما دعا كل واحد منها طائفته منتصراً بها أنكر النبي ﷺ ذلك  
 وسماها دعوى الجاهلية وفي الحديث « إن الله قد أذهب عنكم عصبية  
 الجاهلية وفخرها بالاباء . مؤمن تقي أو فاجر شقي أنتم بنو آدم  
 وآدم من تراب . ليدعن رجال نفرهم بأقوام ، إنما هم فحم من فحم  
 جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها التين »  
 رواه أبو داود وغيره وهو صحيح كما ذكر ما في الصحيحين عن  
 أبي هريرة قال : كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فأنزلت عليه  
 سورة الجمعة ( وآخرين منهم لم يلقى أبهم ) قال قائل من هم  
 يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سأل ثلاثاً . وفيما سلمان الفارسي .  
 فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان الفارسي ثم قال : لو كان

الايان عند الثريا لئله رجال من هؤلاء . والشيوخ ىرحه الله وان  
كان قد جنح إلى فضل الجنس العربى إلا أنه عاد فبين عروبة  
اللسان وقال :

« والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة فى الكتاب والسنة مثل  
الاسلام والايان والبر والتقوى والعلم والعمل الصالح والاحسان  
ونحو ذلك لا بمجرد كون الانسان عربياً أو أعجمياً أو أسود أو  
أبيض ولا بكونه قروباً أو بدوياً » فالعروبة والمعجمة باللسان  
والخلق لا بالنسب والحسب. وكم من عربى صحيح فى نسبه أعجمى  
فى صفاته ودينه أما قضية الرق فى الاسلام فىى حسة تلحق العبد  
لكفره . وقد أتى الاسلام بما يحسن الرقيق ونظم حقوق الأرقاء  
وأوصى بهم ونص على أنهم اخوان لموايهم فى العقيدة الاسلامية  
« إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت  
يده فليطعمه بما يطعم ويلبسه بما يلبس » ومهدت الشريعة لتخفيف  
الرق بالترغيب فى العتق وفك الرقبة فى الكفارات المتعددة والكتابة  
والتدبير فى الوقت الذى لم يكن هناك بأى شرعة أخرى ما يهد  
لإلغاء الرقيق ويخفف وطأته ولهذا الموضوع بحوث مستقلة. والذى  
يعنينا نظرية الاسلام فى المساواة عامة وفى الحديث الصحيح عن  
عائذ بن عمر أن أباسفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر

فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها  
 فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش ومسيدهم فأتى  
 النبي ﷺ فأخبره فقال « يا أبا بكر لملك أغضبتهم لئن كنت  
 أغضبتهم لقد أغضبت ربك . فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه  
 أعضبتكم ؟ قالوا لا . يغفر الله لك يا أخي » رواه مسلم .

### المبدأ الثالث : الشورى

وقد تضمن القرآن هذا المبدأ وله شواهد في تطبيق رسول  
 الله ﷺ مع صحابته واعتبر الاسلام الشورى أساساً من الأساس  
 التي تقوم عليها الدولة الاسلامية ولكن الله لم يحدد طريقة تحقيق  
 الشورى في نظام الحكم لأن هذا يختلف باختلاف الازمان  
 والملابسات ويخضع لما يجد من أماليب وأفكار . فتكون طريقة  
 الحكم حسب ما تقتضيه المصلحة من نظام الملكية الشورية أو  
 الجمهورية أو غير ذلك مما يحقق معنى الشورى ولا يخل بها وفي  
 القرآن الكريم سورة تسمى بسورة الشورى وفيها قول الله تعالى  
 في مدحه لعباده المؤمنين ( والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة  
 وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ) . وقد أمر الله نبيه  
 بها في قوله ( فيها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب

لانفضوا من حولك فاعف عنهم وامسغفر لهم وشاورهم في الأمر .  
فاذا عزمتم فتوكل على الله ) هذا ما تضمنه القرآن .

أما تطبيق الرسول ﷺ مبدأ الشورى . فقد كان يشاور أصحابه فيما لم يأت به وحي وينزل أحيانا عند رأي بعضهم فامسشار صحابته في أسرى بدر . وعاتبه الله على أخذه برأي أبي بكر ومن وافقه في قوله ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم واستشار صحابته في الخروج بغزوة أحد وفي غيرها من المواقف وعلى هذا النهج كان صحابته من بعده : فكان أبو بكر يستشير الصحابة فيما يعرض له من الشؤون ويأخذ بالحق الذي يبدو له . كما كان عمر يفعل ذلك ويمنع بعض كبار الصحابة عن الخروج من المدينة لاستشارتهم عند الحاجة والاسلام يأبى الحكم الاستبدادي ويرسل السنة الوعيد تنداع في وجه كل طاغية جبار ( إن شر الرعاء الخطمة ) .

#### المبدأ الرابع : العدل

فهو دعامة قوية لحماية الضعيف وتحقيق الامن وقد قرر الاسلام هذا المبدأ حتى مع أعدائنا الذين نحمل لهم في نفوسنا من البغض

ما نحمل ( ولا يجرمكم شئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ) وإذا كانت الرسالة الاسلامية قد جاءت لانقاذ البشرية من ظلمات الجهل فقد جاءت كذلك لانقاذها من برائن العدوان والبغى ( فلذلك فادعواستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ) والعدل المأمور به لا تؤثر فيه أنانية أو عاطفة قرابة أو نسب لأنه شرعة الله ( ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ) وهو هدف من أهداف الشرائع السماوية تحميه قوة الحديد التي جعل الله فيها البأس لاحقاق الحق ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ) .

أما حقوق الاسرة وما يسمى اليوم بالاحوال الشخصية فقد جاء الاسلام بنظام شامل رفع شأن المرأة وصان عرضها وبين الحقوق الزوجية في إنسانية عالية وتتبع الأسرة في الحياة وبهدى الممات بنظام الارث ولهذا كله فصول مدروسة لا يتسع لها البحث الآله

## ب - الحقوق الخارجية

تناولت الشريعة الاسلامية القواعد الكلية لصلة الدولة الاسلامية بغيرها في الحرب والسلم على السواء وأهم هذه القواعد:

١ - الوحدة الانسانية : الاسلام دين الانسانية كافة وهو يفتقر إلى البشر جميعاً على أنهم أمة واحدة يجب أن يسود بينهم العدل بأداء الحقوق لذويها : ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهارجالا كثيراً ونساءاً).

٢ - الوحدة الدينية : تمتاز الامة الاسلامية بقيامها على رباط الوحدة الدينية وإن اختلفت لغات أبنائها ( إنما المؤمنون إخوة ).

٣ - السلم لا الحرب : يختلف الباحثون في أساس العلاقة بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول لمشروعية الجهاد في الاسلام .

أ - فقال بعضهم إن الدولة الاسلامية مكلفة بدعوة غيرها إلى الاسلام باللسان ثم بالسنان . فإما الاسلام وإما الجزية . لما ورد من الامر بالقتال على وجه الاطلاق من غير قيد ( كتب عليكم القتال وهو كره لكم ) ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ) ( وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ).  
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد

عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق وحسابهم على الله) والذين  
يبدعون إلى الاسلام لا عذر لهم في البقاء على غيره .

ب — وقال آخرون إن أساس علاقة الدولة الاسلامية بمخالفها  
الاسلم الا إذا وقفوا عقبة في طريق الاسلام وحلوا بينه وبين انتشاره  
لأن أكثر آيات القتال جاءت مسببة بدفع الظلم وحماية الدين (وقاتلوا  
في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)  
(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير  
الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا  
ربنا الله) .

والذي يترجح لدينا أن أساس علاقة الدولة الاسلامية بغيرها  
الاسلم إذا ترك المخالفون الطريق مفتوحاً أمام الدعوة الاسلامية ولم  
يبضعوا العراقيل التي تعوق انتشارها . ولم يصدر منهم ما يمس  
كرامة شخصية الامة المسلمة . فطريق الدعوة إلى الله اللسان  
والبرهان لا الحرب والعدوان ، وتحمل الآيات المطلقة الأولى على  
الآيات المقيدة الثانية . وحديث ( أمرت أن أقاتل الناس . . . محمول  
على أن المراد بهم مشركو العرب خاصة لعدوانهم . قال ابن تيمية  
في كتاب السياسة الشرعية: ووجملة القول أن القتال شرع للدفاع

عن الحق وأهله . فلم يقيم الاسلام بالسيف كما يدعي بعض الجهلاء  
بل قام بالحجة والبرهان .

### القواعد الاسلامية في الحرب :

١ — اعلان الحرب : لا يبدأ الاسلام بالحرب إلا بعد الاذار  
والدعوة إلى الاسلام .

٢ — الرأفة في الحرب : يتبع الاسلام الرأفة في الحرب  
والرحمة بالضعفاء وينهى عن التنكيل والمثلة والتخريب وقطع  
الثمار وقتل النساء والصبيان . يدل على هذا حديث سليمان بن بريدة  
عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو  
سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم  
قال : « اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا  
ولا تفلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدة ، وإذا لقيت  
عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتن  
ما أجابوك فاقبل وكف عنهم : ادعهم إلى الاسلام ، فان أجابوك  
فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار  
المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم  
ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون

كأعراب المسلمين يجري عليهم الذي يجري على المسلمين ولا يكون لهم في الفداء والغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله. ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا . . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ إذا قاتل أحدكم فليجئ بوجهه » وفي الحديث « نهى رسول الله ﷺ عن النهب والمثلة » .

٣ - الجنوح للسلم : وقد ذكر الله هذا في قوله ( وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ) .

٤ - معاملة الأسرى : وفي هذا يقول الله تعالى ( فإذا لقيتم الذين كفروا فغزواهم إنهم قوم منافقون فإذا أفضوا عنكم فزورا فلا مقاتلة في الحرب أوزارها ) .

## القواعد الاسلامية في السلم -

١ - عدم الولاية : لا ولاية للكافرين على المسلمين ولا يجوز للدولة المسلمة أن تتخذ بطانة من دونها أو أولياء من ملة أخرى ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ) . ( يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ) . ( يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ) .

٢ - حسن المعاملة . . فعلاقة المسلمين بغيرهم عند احترام دولتهم ومسايلتها علاقة بر واحسان والاصل في هذا قوله تعالى ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ) .

٣ - المعاهدات : - للدولة الاسلامية أن تعقد معاهدات مع

غيرها إذا لم تمس هذه المعاهدات كيان الاسلام ولم تخل بشيء مما في شريعته « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل » .

٤ - الوفاء بالمعاهدات - تلتزم الدولة الاسلامية الوفاء بالمعاهدات من جانبها إذا لم يخل الطرف الآخر بشيء منها ولم يظاهر أحداً من اعداء الاسلام وإلا فقدت المعاهدة حرمتها وانتقضت شروطها وقد التزم رسول الله ﷺ صلح الحديبية حتى ساعدت قريش حلفاءها « بني بكر » على حلفائه « خزاعة » وفي هذا يقول الله تعالى ( إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ) .

٥ - نبذ العهد : - للمسلمين أن ينبذوا العهد إذا توقعوا خيانة الآخرين ( وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ) أما الجزية فإن الدولة الاسلامية تأخذها لتصرف في المصالح العامة والمرافق التي ينتفع بها كل مواطن على السواء . وحماية الدولة لهم كحمايتها لرعيها المسلمين الذين تأخذ منهم الزكاة وان يدفعوها عن يد وهم صاغرون .

خصائص الشريعة الاسلامية : -

يتبين لنا بعد ذلك كله ما تقدمه الشريعة الاسلامية من تنظيم

عادل لشؤون الحياة الداخلية والخارجية وهناك خصائص تميزها  
الاسلام في هذا عن غيره من سائر القوانين أهمها مايلي :-

أولاً - تعتمد القوانين الوضعية على رأي الانسان . والانسان  
مهما بلغ من المعرفة والعلم فلن يستطيع بعقله القاصر أن يدرك  
المصالح الخفية ويصيب دائماً في كل ما يقرره من علاج لمشاكل  
الحياة الاجتماعية والانسان بطبيعته يخضع لعواطفه ويتأثر بالعوامل  
الخارجية وما يحيط به من أفكار وبهذا تكون القوانين الوضعية  
عرضة للتغيير والتبديل . ولا يكون لها مقياس ثابت محكم ، فما هو  
حلال اليوم قد يصير حراماً غداً . وبذلك تختلف موازين الحياة  
ومقاييس الخير والشر وتلون بتلون الانسان وتحول ميو له وعواطفه  
فتظل الحياة الانسانية في اضطراب دائم كما نشاهد اليوم في حياة  
الامم التي تحكم بغير ما أنزل الله . أما الشريعة الاسلامية فقد بينت  
الاصول الكلية التي تقوم عليها حياة البشرية ولا سبيل الى الأخذ  
فيها بالرأي المجرد عن الدليل . والمجتهدون في الجزئيات المتجددة  
يستندون في اجتهادهم الى هذه الاصول الكلية او الى الأدلة  
الجزئية الأخرى ( إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ) والنبي  
ﷺ مع عصمته لا يتبع إلا الوحي ( ان أتبع إلا ما يوحى إلي )  
وطاعته من طاعة الله ( وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن

الله) ولم يكن حكمه إلا بما علم عن الله (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق  
لتحكم بين الناس بما أراك الله) وانتزاع التشريع من أيدي البشر  
ورده إلى الله ورسوله يضع لنا شريعة ربانية ثابتة المقياس لا يعترها  
خلل أو قصور .

ثانياً - تفقد القوانين الوضعية سلطتها على النفس البشرية لأن  
سلطة العقوبة وحدها لا تكفي في ردع المجرم ، وامتنال الناس  
الشريعة . ولذا فإن واضي القانون يعملون على ترضية الجماهير  
واقناعها بصلاحيه النظم التي وضعوها حتى يمتثلوها . ولكن الناس  
يدر كون انه لا سلطة للقوانين الوضعية إلا إذا وقع المرء تحت  
طائلة المخالفة وضبط ملتبساً بجريمته فيخشى العقوبة ويكون المجال  
فسيحاً أمام الحيلة والدهاء .. وما شابه ذلك فلا يقف أمام وصول  
الناس الى أغراضهم السيئة من فساد في الارض قانون مها كان  
دقيقاً أما الشريعة الاسلامية فإنها تعتمد على وازع الضمير قبل  
وازع العقوبة . فالمؤمنون بها يعتقدون انها من الله وان في اتباعها  
الخير لهم دنيا وأخرى وإذا تأتى لأحدهم أن يفلت من العقاب  
الديني فلن يفلت من العقاب الأخروي بمن يعلم السر وأخفى .  
وبذلك يقيم الاسلام من داخل النفس البشرية رقابة على تعاليمه  
بحيث يراها المسلم في جوف الليل كما يراها في وضوح النهار وإنما

أنا بشر وإنه يأتيني الخصم - فلعل بعضكم أن يكون ألحن من بعض،  
فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فأنا  
هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها .

شبه واهية : -

١ - قد يقول بعض القوم من المثقفين العرب كأنك بهذا  
تريد منا أن نرجع الى الاسلام ونعيش في نطاق هذا الدين وهذه  
دعوة رجعية تعود بنا الى الوراثة أربعة عشر قرناً من الزمان وما  
لنا بدين مضت عليه أعصار تطورت فيها الحياة وتقدم العلم وأقام  
العالم حضارته على أمس علمانية وليس لنا الآن الا أن نتابع الركب  
وقد أخذت عوامل نهضته العلمانية التحررية في الظهور وشقت  
طريقها وقطعت شوطاً بعيداً في التقدمية التي نرجوها فأنت بهذه  
الدعوة تهدم الاساس الذي وضعناه وتحكم علينا بأن نعيش إلى الأبد  
في تأخر وجمود . ونقول لهؤلاء ليست الدعوة الى الاسلام دعوة  
رجعية ترجع بالناس القهقري كما تظنون فإن الاسلام الذي ندعو  
اليه ليس الاسلام الذي تفهمونه . ولكنه الاسلام الذي جاء  
هداية للناس أجمعين . وهو نظام محكم شامل يتناول مظاهر الدنيا  
والآخرة . وقد وضع القواعد الكلية في جوانب الحياة جميعها  
التي ترسي عليها الأمة قاعدة حضارتها فيملو كعبها وتصل الى ذروة

المجد؛ والصورة التي ترونها اليوم صورة مشوهة للإسلام وهل كان الإسلام الاثورة عقيدية اجتماعية قلبت معالم الانسانية ووسعت لها طرق الحضارة؟ وفي مرونة القواعد الاسلامية السكينة التي تكلمنا عليها في هذه المحاضرة ما يني أمة وقيم دولة يدرأ مثل هذه الشبه فالاسلام سفينة نوح في كل طوفان ورسالة الاصلاح في كل عصر ورسولته محمد ﷺ إمام كل جيل وزعيم كل نهضة .

٢ - ويقولون إذا كان الامر كما تقول فما بالنا نشاهد ما أصاب الأمة الاسلامية من فساد وما لحق بها من فوضى واستبداد وتناحر حتى في العصور الأولى التي كانت على مقربة من نزول الوحي ولا زالت هذه الحال مشاهدة في الدول العربية من نظام الاسلام بهذا العصر .

ونقول لهؤلاء أن النظام شيء وتطبيقه شيء آخر . وعدم تطبيق أي نظام ينتج هذا الأثر دائماً سواء كان في الاسلام أو في غيره بأي دولة وفي كل زمان ولا يرجع العيب حينئذ إلى النظام نفسه وإنما يرجع إلى القائمين عليه الذين لم يلتزموا نهجه . والاسلام شيء ورجاله شيء آخر والعيب في المسلمين أنفسهم أما حين تتضح تعاليم الاسلام ويؤمن بها أبناءها وتسير الأمة على هديها فسوف يبدل الله الاحوال ويكتب لنا ما وعدنا به من نصر وعز ( إن

تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ) ( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يمدونني لا يشركون بي شيئاً ) ؟

٣ - ويقول المتأثرون بالثقافة الاجنبية أن قطع يد السارق ورجم الزاني وسائر الحدود يعتبر وحشية لا تتناسب مع الرقي والحضارة والرحمة وإنما كان ذلك عند البداوة وغلظ القلوب وجفوة الطباع .

وتقول لهم إذا أصيب مريض في طرف من أطرافه بداء وقرر الأطباء أنه اذا لم يتر هذا الطرف فسيسري الداء في الجسم ويقضي على حياة المريض أمن الرحمة به حينئذ أن يترك حتى يستشري الداء في الجسم ويستعصي العلاج ويموت المسكين ؟ أم تقتضي الرأفة أن يتر عضوه لتسلم حياته ؟ وهل المذنب إلا عضو مريض في جسم الأمة وداء عضال في طرف منها . فمن الرحمة والرأفة والرفقة أن يعاقب على جرمه سلامة للمجتمع وسلامة لنفسه إن لم يكن في الحد هلاك له وتلك رحمة الله بعباده في إقامة الحدود . أما الذي يريدونه من عقوبة على الزنا فهو ما جاء في القوانين الوضعية التي يعمل بها في الدول الاوربية ودول منتسبة إلى الاسلام تقضي بهذه

القوانين فلا توقع على الزانية عقوبة إذا حدثت الجريمة برضاها وكانت غير متزوجة . أو كانت ولم يرفع زوجها الدعوى عليها ولا توقع عقوبة على الزاني كذلك وقد تكون العقوبة في بعض الاحيان ولكنها لا تزيد عن مسجن سنتين غالباً ومثل هذه الفوضى والاباحية هي التي يعتبرها هؤلاء رقياً وإنسانية .

٤ - ويقولون أن الدعوة إلى الاسلام توجد عنصرية بين المسيحيين والمسلمين . فلا حاجة لنا إلى إثارة مثل هذه الطائفية . والأولى أن تتعاون جميعاً على بناء الأمة العربية فالدين لله والوطن للجميع . ونقول لهم ما عدد المسيحيين في أمتنا العربية ؟ إنهم قلة لا تتجاوز ثلاثة ملايين بين سبعين مليوناً من العرب المسلمين وليس في هذا ترضية لهم إن كانوا يبطنون السوء لأنهم أهل دين وقد عاشوا في ظل الدولة الاسلامية قروناً دون أن يشعروا بالظن وحماية الاسلام لهم أفضل من أي حماية أخرى وكل الأقليات في العالم تعيش في ظل نظام الاكثرية . فهناك ملايين المسلمين الذين يبلغ مقدارهم أضعاف المسيحيين في امتنا يعيشون في الدول الشيوعية والدول المسيحية . فهل راعت هذه الدول شعورهم بمثل مانعني نحن المسيحيين هذا الاعتبار .

وحين ننادي بها اسلامية فإن دأرتنا المحدودة التي تضم سبعين

مليوناً من العرب مستخرج القلعة المدودة من المسيحيين لتدخل  
خمسائة مليوناً من المسلمين في أنحاء العالم فأبي الكفتين أرجح ؟  
وليس هناك شيء للوطن أو لقيصر فكل أمر لله وقيصر نفسه  
ملك لله والله يقول ( ان الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ) .  
ويقول ( قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين  
لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ) .

٥ — ويقولون دعونا الآن نهض بالأمة في سلام دون أن  
تعرض للإسلام وعندما تقام دولة قومية موحدة سنعمل للإسلام  
ونحقق أهدافه .

ونقول هل يعقل أن ألقى جبل موجه الأحاد على غاربها ثم أمسك  
زمامها بعد شوطها الطويل لأردها إلى الإسلام. انها حينئذ ستكون  
في ذروة حدتها وكان السهل أن نمسك زمامها من أول الطريق .

٦ - ويقول بعض هؤلاء ان الحياة اليوم حياة فنون ومخترعات  
والتقدم العلمي الكوني هو مقياس نهوض الامم ولا صلة للإسلام  
بهذه العلوم ونقول لهؤلاء ان الإسلام لا يتنافى مع العلم أو القوة  
بل يجعل ذلك من واجباته وفرائضه لكنه لا يحول امته إلى أمة  
مادية تؤمن بالمادة وحدها وإنما يحفظ التوازن بين المادة والروح  
ويعطي كلاً قسطه ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ) ونظريات  
الأصول في الفقه الإسلامي تدل على أن وجود كفاءات في الأمة

الاسلامية بشتى نواحي الحياة فرض كفاي « فالإمام الشافعي  
 يقول « ان هناك تكليفات يراد بها العموم ويراد بها الخصوص »  
 فجاء الشاطبي وعلق على هذا المعنى فقال « هذه التكليفات التي يراد بها  
 العموم ويراد بها الخصوص هي التكليفات الكفائية » ثم بين هذا  
 المعنى فيقول « ان كل الاعمال التي يقوم عليها العمران إنما هي  
 فروض كفايية » فعلى المسلمين أن يكون بينهم عمال وأن يكون  
 بينهم صناع وأن يكون منهم زراع وأن يكون بينهم مهندسون  
 وأن يكون بينهم فقهاء وأن يكون بينهم من يقيمون العدل وأن  
 يكون منهم أئمة هداة ينشرون الحكم الاسلامي على وجهه . نقل  
 هذا الاستاذ محمد أبو زهرة في بعض كتابته . ويقول ابن  
 تيمية هذا المعنى في كتاب الحسبة . فقد ذكر حاجة الناس إلى  
 الصناعة إذ لا بد لهم من ثياب وطعام ومساكن . فلهذا قال غير  
 واحد من الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم  
 كأبي حامد الغزالي وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهما ان هذه  
 الصناعات فرض على الكفاية إلا أن يتعين فتكون فرضاً على الاعيان  
 مثل أن يقصد العدو بلداً أن يستنفر الامام أحد .

## الى العمل :

أيها الاخوان هذه كلمة اجملنا فيها الاسس العامة للاسلام التي قامت عليها حضارتنا في الماضي ولن تقوم . إلا بها في الحاضر ومن هنا أصرت النخبة الواعية المسلمة على أن تكون النهضة الجديدة نهضة اسلامية فنحن لانزيدها شرقية ولا غربية ولكننا نزيدها اسلامية تمتد جذورها في أصول الاسلام وتمتد أغصانها في نظمه وتعاليمه . ويجري «التمثيل الكبير وفيل» لها تحت اشعاعه وضوئه . ولا مرء في أن الاسلام بمد هذا هو رسالة الاصلاح الخالدة وان أحدنا ليستحي من نفسه حين يعرض الاسلام في بلد اسلامي لقوم مسلمين في الوقت الذي يتجه فيه الغزو الفكري الالحادي التبشيري الينا في كل صوب وكان الاجدر بنا أن نتحدث بمثل هذا الكلام في ديار غير ديارنا ولكن قيادة العالم اليوم في الشرق والغرب حتى في معظم بلاد الاسلام ليست قيادة ربانية . فسيظل مجرى الحياة في اتجاه لإسلامي إلى أن تتحرك القوى الاسلامية وتبرز في المعركة وتستولي على الزمام .

هب اننا نريد السفر إلى بلد الله الحرام فأقلتنا طائرة من الرياض وأخذ كل منا مقعده فيها . ثم حلقت الطائرة في الجو وشقت

طريقها ولكن قائدها اتجه بها «نحو موسكو أو لندن أو واشنطن»  
فماذا نمتلك نحن حينئذ؟ اننا لا نمتلك إلا صياحاً وجل ما نستطيعه  
رغبة في بلد الله الحرام أن نغير أماكننا في الطائرة بحيث نتجه دائماً  
إلى القبلة أما النتيجة فواحدة ولن تصل الطائرة إلى بلد الله الحرام.  
فإذا أردنا الخير لأنفسنا وللناس فلا يكفي منا - ويهدنا  
مشعل النور - الوقوف عند الوعظ والمحاضرة والتأليف وإن كانت  
هذه من عوامل الدعاية وهي خطوة أولى للغاية . ولا بد في نجاحنا  
- إذا صدقنا الدعوة - من التربية والاعداد فلا جدوى لقول بدون  
عمل ولن نصل إلى الغاية إلا إذا صارت عجلة القيادة في يد اسلامية  
نظيفة تسير بنا إلى وجهة الله . وما ذلك على الله بعزيز فهل إلى عمل  
من سبيل؟ هذا ما نرجوه والله الموفق .

## مناع القطان

المدرس بكلية الشريعة بالرياض

# الفهرس

- ٣ - تقديم  
٥ - مقدمة : تمهيد ، ٧ منزلة هذا الدين ، ١٣ واقعنا اليوم ،  
١٥ أصناف من الناس ، ١٦ مصادحة .
- ١٨ الاسلام رسالة الاصلاح  
١٩ صلاحية الشرائع  
٢٠ الشريعة الاسلامية ، أهداف الاسلام :  
٢٤ في العبادة ، ٢٩ في الاقتصاد ، ٣٨ في الاجتماع  
٤٣ السياسة الشرعية في الاسلام  
٤٤ ١ - المبادئ الاساسية - الحقوق الخاصة  
٤٧ ٢ - الحقوق العامة  
- الحقوق الداخلية : ١ - الحرية ، ٢٥ - المساواة ٣ - الشورى  
٤ - العدل .  
٥٨ - الحقوق الخارجية : القواعد الاسلامية في الحرب -  
القواعد الاسلامية في السلم  
٦١ خصائص الشريعة الاسلامية  
٦٤ شبه واهية  
٧٠ إلى العمل





LIBRARY  
OF  
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 074488923

**(NEC)**  
**KBP144**  
**.Q288**  
**1963**